

## عصام سيخيني

## ١ - تأملات في الخلفية

القيادية - بحكم مواضعها الطبقية - تسعر الحدّ الطائفي للإنحراف بالوعي الطبقي والحسيس بالاضطهاد لدى الطبقات الفقيرة وتوجيهه نحو نزاع طائفي يحدّر النضال الطبقي ومن ثم يبقى الهرم الاجتماعي على حاله لا يمس . ان حرب الطوائف ، لا تعاشها ، هو أبرز عناوين الطائفية ، وهو الاطار القادر وحده على تجسيد النضال الاجتماعي وحبسه دون التفجر في وجه الطبقات الاستغلالية الاحتكارية في المجتمع التي أبرز رموزها الاطارات الطائفية العليا .

ان هذا الوضع مسؤول عن ان البرجوازية اللبنانية لم تحقق الانجازات التاريخية التي حققها البرجوازيات في المجتمعات الاخرى . فالاستقلال الوطني والوحدة في اطار الدولة القومية يعتبران ( بالاضافة الى التصنيع ) أبرز الانجازات التي تحققتا البرجوازيات الوطنية ، غير ان البرجوازية اللبنانية ان نجحت جزئيا في تحقيق الاستقلال الوطني بمظاهره العامة ، فقد فشلت في تحقيق الوحدة في اطار الدولة القومية ( وحدة الشعب ) ، وظل الانتماء الى هذه الوحدة ، والاحساس بها وممارستها غملا ، ادنى بدرجات من الولاء للطائفة .

ان ما سبق يتمثل كثيرا في الكتابات - الطائفية المنشأ والممارسة . وان تأكيد اطاراتها العليا وهي التي رشحت من شرائح البرجوازية الكبرادورية ، وادبياتها على تدعيم النظام الاقتصادي اللبناني ( على الرغم من انه اقتصاد رأسمالي مهترئ ) ، والتعني بـ « التجريبية اللبنانية » يكشف طبيعة البنية الطبقية لهذه الاطارات . وتتأكد هذه الحقيقة بالممارسة في المواقف السلبية التي تنفها الكتابات عادة من النضالات المطالبة للجماهير اللبنانية . غير ان ثمة جانبا آخر تنفيه الكتابات في المسألة الطائفية غير منفصل عما سبق هو التركيز على « خصوصية » الوضع في لبنان ، بسبب وجود الطائفية فيه ، وتفرده عن اوضاع الوطن العربي . واذا وجدت

مذبحة الثالث عشر من نيسان التي ذهب ضحيتها نحو ثلاثين فلسطينيا ، بخلاف مئات القتلى والجرحى الذين افظوا الايام اللاحقة ، لا يمكن تفسيرها الا ضمن اكتشاف المكونات السياسية والاجتماعية - الاقتصادية التي اوصلت الى قيام مجموعة من حزب الكتائب بارتكاب هذه المذبحة التي ستظل أحد أبرز المعالم المناهضة في التاريخ الفلسطيني . فهذا الحد ، لا يجد له تبريرا في الاسباب المباشرة التي زعم انها كانت وراء الحادث ، وانما هو حصيلة تراث يشرش في البنية الاجتماعية - السياسية للحزب ونظراته الشاملة الى ، وبالتالي تعامله مع ، القضايا الاجتماعية والسياسية المطروحة ليس في لبنان فحسب وانما في المنطقة باجمال .

ان الاساس الذي اقيمت عليه بنية الحزب هو الطائفية . وبعيدا عن استرجاع مراحل النشوء فان الطائفية رافعا مرتبطة اشد الارتباط بالوضع الطبقي في لبنان . فالمكون الطبقي هنا بارز المعالم تفضحه النظرة الاستبرارية للاجزاب الطائفية في لبنان التي تكشف ان كوادرها العليا واطاراتها القيادية تسربت من شرائح البرجوازية العسكرية والكبرادورية التي هي في النتيجة المستفيدة الوحيدة من وجود الطائفية التي تركز هيمنتها الاجتماعية والسياسية . ان تسييس الدين ، في الطائفية ، وتحويله من نظام روحي الى مؤسسة سياسية ، يخدم دعاة الطائفية لجهة وضع بديل عن الانتماء للشعب بمفهومه القومي ، بالانتماء الى الطائفة وبالتالي الولاء للزعامات الطائفية وتكريس وضعها القيادي المسيطر . وتستفيد هذه الزعامات داخل الطائفة الواحدة من تنمية الفرعات الطائفية في كبت أي تحرك مضاد لمواضعها من خلال الادعاء بـ « وحدة » الطائفة ومنع انقساماتها الداخلية تحت طائلة التهديد بـ « الخطر » الذي ياتيها من الطوائف الاخرى . ومن جانب آخر ، فان هذه الاطارات